جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار **السنة الجامعة : 2021 – 2022**

المستوى : ماستر2 **السداسي : الأول** **التخصص: الآثار الإسلامية**

عنوان المقياس: تاريخ الأبحاث الأثرية في الآثار الإسلامية بالجزائر

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email : archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس: الأعمال الأثرية بمسجد سيدي غانم في ميلة

ومسجد سيدي عقبة ببسكرة:

الأعمال الأثرية بمسجد سيدي غانم في ميلة ومسجد سيدي عقبة ببسكرة

تاريخ ميلة في الفترة الإسلامية:

في حدود سنة 45هـ قام أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان بتعيين مسلمة بن مخلد السكوني أميرا على مصر، فقام هذا الأخير بعزل عقبة بن نافع عن إفريقية إقليم تونس، وولى مولاه أبا المهاجر دينارا وطلب منه فتح المغرب فانطلقت عملية الفتح

وعلى عكس غيره من أمراء الفتح الإسلامي، الذين كانوا يقومون بغزوة في بلاد المغرب ثم يعودون إلى الفسطاط بمصر، فإن أبا المهاجر دينار قام بالمكوث في مدينة ميلة مدة سنتين، عمر فيها الحصن، وبنى فيها الجامع الذي سمي باسمه من بعده، فإذا كان فتح ميلة سنة 59هـ، وبناء المسجد خلال عامين أي ما بين 59- 60هـ. وأقام أبو المهاجر دارا للإمارة ملتصقة بالمسجد، ثم انتقل عن ميلة حتى وصل إلى تلمسان.

وكان سبب اختياره لميلة لتكون قاعدة انطلاقه في فتح بلاد المغرب عوامل عدة منها: حصانة ميلة وتوسطها بلاد المغرب الأوسط واستقرار قبيلة من إحدى أقوى القبائل البربرية فيها ألا وهي قبيلة كتامة، كل هذه العوامل جعلته يختارها قاعدة إمارتهن ومنها انتقل إلى سائر بلاد المغرب فاتحا.

واستمرت ميلة عامرة منارة قبلة، تحت راية بني أمية، ثم بني العباس وتحت لواء الدولة الأغلبية، وصارت لها حظوة حتى أنها أخذت من قسنطينة بريقها وصارت من أكبر القواعد الإدارية التابعة مباشرة لطبنة عاصمة الدولة الأغلبية في المغرب، إلى أن استولى عليها أبو عبد الله الداعي الشيعي العبيدي، فيما استولى عليه من البلاد، وفي سنة 378هـ أغار عليها أبو الفتح المنصور بن أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي، قال البكري:" فلّما قرب من ميلة زحف إليها بانيا على استلام أهلها واستباحتهم،...وأمر بهدم سورها وتسيير من فيها إلى مدينة باغاية. فخرجوا بجماعتهم يريدونها وقد تحّملوا ما خفّ من أمتعتهم، فلقيهم ماكسن بن زيري بعسكره فأخذ جميع ما معهم. وبقيت (. ميلة خرابا ثّم عّمرت بعد ذلك".

وفي العهد العثماني صارت ميلة تابعة لبايلك الشرق، وكانت قبيلة زواغة من أكبر قبائل البايلك والتي أدت دورا مهما في تأييد الحكام الأتراك.

يقع مسجد سيدي غانم في الجهة الغربية للمدينة القديمة بميلة، وبالضبط داخل السور البيزنطي الحصين الذي به برجا للمراقبة، ويعرف موقعه اليوم بالثكنة العسكرية الفرنسية القديمة

وهي مقر متحف المدينة حاليا. وبالتالي فإن المسجد لم يقم على قواعد الكنيسة بل قام خارجها، ولكن استعمل المسلمون بعض أجزاء ما وجدوه في الحصن البيزنطي لإقامة المسجد كالأعمدة والتيجان.

كما مر بنا من قبل أن باني مسجد سيدي غانم هو الفاتح والقائد الإسلامي أبو المهاجر دينار، وذلك سنة 59هـ/ 679م، كما ذكرت ذلك كثير من المصادر الإسلامية. واستمر هذا المسجد من تلك الفترة التاريخية في تنوير بلاد المغرب الأوسط أو الجزائر على مر العصور، ولم تذكر الروايات التي عنيت بأحداث التاريخ الإسلامي أي تفاصيل أخرى عن المسجد من حيث الترميم أو إعادة البناء أو الزيادة فيه أو غير ذلك من أعمال البناء والعمران التي تتعرض لها المساجد العتيقة، وربما السبب في ذلك يرجع إلى أهمية ميلة السياسية والإدارية، والتي فقدت إثر تحول أنظار الدول الإسلامية -التي توالت سلطتها على الجزائر- إلى مدن أخرى أكثر أهمية كطبنة وقسنطينة وغيرها من قواعد الدولة الإسلامية.

ثم تظهر بعد ذلك بعض التغييرات إثر الاحتلال الفرنسي للجزائر، فتظهر بعض الأجزاء التي استحدثها الفرنسيون بما يناسب مشروعهم الجديد وهو الثكنة العسكرية.

وقد عانى المسجد من كثير من الإهمال، بداية من الفترة الاستعمارية، حيث عمدت القوات الفرنسية إلى اتخاذه مقرا لثكنتها بميلة وعملت عل تغيير معالمه الأثرية، فقامت بتقسيمه إلى طابقين العلوي لمبيت الجنود والسفلي كزريبة للخيل والخنازير، وقامت بعد سنة) 0828 م(بهدم منارة المسجد واستعمال حجارتها لبناء كنيسة ميلة الحديثة، والتي تحولت بعد الاستقلال إلى مسجد.

أقيمت في ميلة حفريتين لمدة 15 يوما لكل واحدة منهما داخل المسجد العتيق بمدينة ميلة، الذي يقع في الناحية الغربية من المدينة العتيقة التي تحددها الأسوار البيزنطية، وكانت هذه الحفريتين من قبل رشيد دوكالي، فأما الأولى فأقيمت سنة 1969، وأما الثانية فكانت في سنة 1970، إن هذا المسجد قد تم تحويله إلى ثكنة أثناء الاحتلال الفرنسي، وهدمت مئذنته خلال تلك الفترة، فكان من الضروري في البداية إذا القيام بهدم البناء الحديث الذي كان يخفي اصطفاف الأعمدة، وجزءا من السقف الذي كان يقطع المبنى إلى مستويين. بعد هاتين العمليتين أصبح المبنى القديم بارزا للعيان، وظهر المحراب القديم وتم التعرف على تفاصيله.

لقد سمحت بعض الأسبار التي أقيمت سنة 2012 من التعرف على مستويات الفترة الإسلامية ، وعثر على قطعة نقدية تعود إلى الفترة الإدريسية، وجزء من قطعة جصية تحمل زخارف خطية من الخط الكوفي، إلى جانب زخارف نباتية من زهيرات وأطباق نجمية تذكرنا بزخارف قلعة بني حماد ، ويبرهن على قدم المسجد نوعية العقود والركائز التي تساندها، فالعقود التي تشكل البلاطات كانت من النوع المتجاوز، حيث ترتكز هنا على التاج بواسطة طبلة مشكلة من الآجر، كما يمكن ملاحظة آثار الروابط الخشبية، وفي هذه العملية تم أيضا التنقيب عن المستويات القديمة.

مسجد سيدي عقبة:

يقع مسجد عقبة على مسافة ثمانية 10 كلم جنوب شرقي بسكرة، و8 كلم جنوب تاهودة، حيث استشهد عقبة بن نافع مع ثلة من أصحابه ، ويقوم المسجد في سهل فسيح، بالقرب من مجرى نهر صغير يدعى وادي الأبيض. لا نملك تاريخا محددا بدقة لتأسيس هذا المسجد، والسبب هو عدم توفر نصوص أدبية تشير إليه أو شواهد أثرية، فمن المرجح أن يكون هذا المسجد قد تأسس في الفترة الزمنية المحصورة بين القضاء على كسيلة وعلى الكاهنة عام 82 هـ/ 701م وعودة الفتوحات الإسلامية إلى إفريقية، وبين نهاية حكم الأسرة الفهرية الإفريقية عام 140هـ/ 758م.

أثناء أشغال الترميم فتحت بعض الأسبار سنة 1997 داخل مسجد سيدي عقبة، ويعد هذا المسجد إلى جانب مسجد ميلة وتنس من أقدم المساجد في الجزائر، فالبوائك تتخذ في هذه المساجد مسارا موازيا لجدار القبلة على غرار الجامع الأموي بدمشق، لقد سمحت الحفريات على التعرف على الأرضية القديمة للمسجد، التي تم كشفها بعد إزاحة طبقة سمكها 40سم، وكانت عبارة عن بلاط مشكل من لونين أبيض وأسود، كما تمكنا من خلال الحفرية من معرفة مواد وتقنيات البناء، وكشفت الأسبار أيضا عن التعديلات التي شهدها المسجد، وتم تسجيل غياب الأساسات في مستوى الدعامات التي دخل في بنائها مواد بناء قديمة أعيد توظيفها، ونظرا لقلة ارتفاع السقف، فقد عمد البناء إلى استخدام قطعة من جذع النخيل للوصول إلى الارتفاع المبتغى، وعلى مستوى التيجان وضعت ألواح من خشب النخيل لإسناد العقد.